Hamid

بسم الله الرحمان الرحيم

تمهيد:

استجابة لطلب الأستاذة المقتدرة "كورال كوادرادة" أن أتكلم عن تجربتي كطالب مغربي مقيم في كاتلونيا، ورغبة مني في الحوار و التواصل و التعارف اقدم على هذا العمل المتواضع بحول الله عسى أن يعم فيه النفع و تتحقق معاني الحوار.

مع التذكير انه للتواصل مع من يحكم عليك بأحكام مسبقة لا بد من وجود أذن متحررة لاستماع صوت الأخر.

أسباب الهجرة :

ليس كل مهاجر باحث عن لقمة العيش فقط, و لكن تتعدد الاسباب و الغايات ,فبالنسبة لي كان هم استكمال الدراسة شيئا اساسيا

و كذلك التعرف على ثقافات أخرى و اكتساب تجارب جديدة ...

بفضل الله و بمساندة أخي "الخليل" الذي اشكره كثيرا نصحني بالتوجه إلى إسبانيا, وفرت جميع الوثائق و حصلت على التأشيرة .

الرحلة:

في مساء يوم الجمعة من اواخر سبتمبر لعام 2002 ركبت الباخرة من مدينة طنجة في اتجاه الخزيرات ,صعدت إلي الأعلى لاتامل البحر الذي كان هادئا و عند المغيب أشعة الشمس الباهتة تنعكس على الماء ليبدو البحر كأنه ذهب منصهر ,انتاب شعوري المنظر العجيب ,لكنني كنت مشغولا بأسئلة تدور في ذهني , كيف هي الحياة في إسبانيا؟كيف ستكون إقامتي هناك ؟...و قلبي مملوءا بالحب و الاحترام و التقدير للأسبان لما اسمع عنهم من أخلاق و لاني سأتعلم بين ضهرانيهم لفترة من الزمن و لأننا إخوان في الإنسانية...

تأملت البحر الكبير و السماء الزرقاء و صخرة جبل طارق و قلت سبحان الخالق أنها سماء بلا أعمدة غطت كل الدنيا و شمس واحدة نراها من كل البلدان إذن فالخالق واحد سبحانه....

و في الرحلة عبر الحافلة في اتجاه برصلونة كنت استمتع بجمال الطبيعة و خضرتها و تصاميم القرى و المدن و نظافتها و نقاء البحر و صفائه و البنى التحتية و الطرقات و متانتها.

اكتشاف جديد:

في بداية اقامتي هنا اكتشفت آمرين:

الاول:هو اني لست في اسبانيا التي كنت اتخيلها ,بل في بلد اخر هو كاتلونيا فمساحتها ليست باقل من بلجيكا او هولاندا ,و لغتها الكتلا مغايرة تمام اعن الإسبانية و هي المعتمدة رسميا في الادارات و المدارس,و أعيادها خاصة و قنواتها متميزة ببرامجها إذن أنا في كاتلونيا.

الامر الثاني:

إن الناس هنا يسمون ابناء شمال أفريقيامن العرب بالمورو,اكتشفت مصطلح أحسست بمرارته لاول وهلة,لانه يستعمل سلبيا حاولت ان افهم معناه وجدت مدلوله شرير ,

فأحسست أن البعض ألبسني لباس الشر و التخلف و الإجرام(و هذه اوصاف داخلية)لمجرد ان شكلي الخارجي من شمال افريقيا,و هنا لا زلت اتساءل هل

هذا ظلم و اعتداء على شريحة من الناس بدون مبرر؟ام انهم فعلا يستحقون هذا الوصف؟هل هي تلقائية ام متعمدة
ام الامر معقد و لا يحتاج لتبرير؟...؟

في الجامعة:

في البداية رغم حماسي للدراسة وجدت صعوبات تشوش علي مثل اللغة و إلا حساس بالعزلة بين التلاميذ,و غياب المنحة و نظام جديد و ثقافة أخرى ...,لكني على يقين ان الزمن جزء من الحل و أن الصبر اعظم كنز نملكه و أن النجاح هو الاستمرار و الإحساس بالسعادة في كل حين,

اشكر كل اساتذتي الذين يبذلون جهودهم لتعليمنا في جو صداقة و جدية,و اشكر أصدقائي الذين مدوا يد التواصل معي فوجدوني على استعداد لبناء صداقة متينة مبنية على الثقة و الاحترام و هنا اشكر اصدقائي : بياتريز ,أوريول, جوردي و رامون...

من خلال تجربة اكثر من سنتين من المعايشة و الاحتكاك المباشر ,كافية للادلاء براي حول ثقافتين, يمكن تغير بعض المفاهيم السابقة او ترسيخ بعضها فان تحدثت عن مزايا و عيوب المجتمعين فلا اقصد المقارنة و لكن و جهة نظر .

فاذا بدانا بالديمقراطية فهنا القاعدة المدنية متامسكة و تداول الاحزاب على السلطة بين حكام عابرين شيء واقعي بينما الديمقراطية عندنا كلمة اسطورية و الحكام مخلدون و القاعدة شتات (و هذا في منتهى البعد عن معاني الاسلام في الشورى و التنضيم و العدل و الحرية..) هنا الفكر تطور و نحن لا زالت عقول بعضنا تعشش فيها الشعوذة و الخرافة التي ليست لها علاقة بالإسلام الذي يأمر بالعلم و حرية الفكر و القراءة و التعلم لان أول كلمة نزلت في القران هي اقرا.

هنا الإنتاج في جميع المستويات مضبوط و منظم و فعال , و العمل جاد بينما في أرضنا لا ينبت فيه الوجود الأعشاب الطفيلية من رشوة و محسوبة و

لا مسؤولية على النقيض من معاني الدين الرفيعة في مجال المعاملات و الأخلاق و الاهتمام بالضمير ...

نحن حلقة في ناعورة التخلف الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي,أرقام ديمغرافية و أين النوعية؟ ,سوق استهلاكية و مجال فسيح لمعامل تلوث البيئة و تبعية سياسية و اقتصادية ,رغم خروج الاستعمار عسكريا فلا زالت الشعوب مسلوبة حريتها في المشاركة ,مقهورة مغلوبة على امرها ,مفقرة و مجوعة (فيا ترى من الظالم و من يسانده)ليظل همها وشغلها الشاغل هو البحث عن لقمة العيش ,فان كان واجب علينا ان نعذر بعض الاسبان الذين يعممون على كل الأجانب فقط لوجود فيهم من يسيء التعامل ,فكذلك مطلوب منهم ان يفهموا انهم ضحايا ضلام الاستعمار وسواد الجهل و ضياع فرصة التعلم ...

و هنا أشيد و احي الحكومة الكتلانية لما تبذله من جهدفي حل مشاكل المهاجرين من دروس التوعية و اللغة و التواصل وخدمات اجتماعية ...و محاولة الإحساس بهم ككيان أنساني(يغني تنوع حضارة البلد)ليس فقط كعامل انتاج و يد عاملة رخيصة.

الحياة الاجتماعية:

الشوارع النظيفة و النظام و الصناعة و العلوم و المعاملة الحصيفة المتأدبة تخفي وراءها قذارة الاخلاق و الانانية و البرودة في العلاقات, فمن أهم ما اعجبني الاطفال و طريقة تربيتهم,فالنظافة و الادب و الوسامة, لكن للاسف بعض هؤلاء البراعم و الزهرات يبدؤا في الانحراف على سن مبكرة حيت ارى فتيان و فتيات في سن 13 و 14 يتعلمن تناول المخدرات المنتشرة بشكل ملفت للنضر.

اما الاعلام يخبرنا على الاقل اسبوعيابوقوع جريمة قتل او اعتداء بين زوجين او اباء و ابناء ...

ومن ابشع ما سمعت ان احدهم قتل امه لياخذ مالها و عجوز ماتت في بيتهاو بقيت اياما مع العلم ان لها ابناء و جيران, وسائق سيارة اجرة في برصلونةكذب على عشيقته كلوريا ليقتلها و الامثلة كثيرة ما هي الا دليل على مستوى تفكك الاسر.حتى الاطفال يجرمون دفئ البيت و حضن الأب و حنان الأم بعد طلاق الزوجين ليجدوا انفسهم في مراكز تربية القاصرين الذي و ان قدم خدمات مهمة في التربية فانه يستحيل تعويض حنان الأب و الأم .

برودة العلاقات الأنسانية تتمضهر في غياب الروح الجماعية و طغيان الأنانية و المصلحة الخاصة...

فالأم التي تألمت عند ولادة ابنائها و سهرت على تربيتهم و العناية الفائقة بهم ,و عندما يتقدم بها السن تجد نفسهاوحيدة في دور العجزة.

السلام:

قبل بداية الحرب التي يشنها بوش على العراق,و عندما اعلن ازنار مشاركته في الحرب قام الشعب الاسبانييبكل مكوناته و ابنائه بمضاهرات سلمية تطلب بوقف الحرب و عدم المشاركة بعدما ان استوعب انه لا مجال لتبرير حرب تدمر شعب باطفاله و نسائه و تخرب بلد بأكمله مقابل مصالح ضيقة لأشخاص و شركات , فكان درسا للعالم ان الشعب الأسباني حر و هو الذي يقرر و انه ضد قتل الابرياء و و الضلم.

11 مارس:

كان يوم الخميس ,سمعت الخبر في القسم عندما قال لنا الأستاذ اليوم وقعت انفجارات في محطة القطار بمدريد,وعلى الساعة 12

كانت وقفة امام باب المدرسةتضامنا م الضحايا,فالجريمة نكراء و الضحايا ابرياء فايا كان الفاعل فهو احمق و متهور,كان وقع الحادث علي مؤلم لانني احسست بتضامن داخلي عميق مع الضحايا الذين هم طلبة و عمال و تلاميذ من جنسيات مختلفة ,فأن كان واجب علينا احترام البيئة و الحيوان فكيف بالبعض يقدم على قتل الأنسان اكرم الموجودات مع العلم ان الحفاظ على حياة و روح الأنسان من أقدس الواجبات,

حاولت ان اعبر عن تضامني بكل الأشكال الممكنة حيث حضرت كل الوقفات و بعثت برسائل الكترونية الى اصدقائي...تكلمت مع بعض الطلبة المسلمين و بعض العمال الكل كان رافضا لما وقع متضامنين مؤكدين أن مثل هذه الأعمال ليست لها علاقة بمبادئ الإسلام تماما ,لكن لما افتح التلفاز او اتصفح الجريدة اجد خلط بين المفاهيم و الأصرار على ربط الأرهاب بالاسلام فمثلا عند الحديث عن القاعدة الكل يصر على قول الأرهاب الأسلامي (القاعدة عدد شبه منعدم ان لم يكن منعدم من بين اكثر من 1300000000مسلم في العالم) في حين لا نسمع الحديث عن الارهاب الباسكي في حالة ايتا و لا نسمع الكلام عن الارهاب الكاثوليكي في حالة ايرا الأيرلاندية ولا الحديث عن الارهاب المنظم في حالة بعض الانضمة الحاكمة و التشويه الأعلامي لن يغير من الحق شيئا فالحق يستمد قوته من مقوماته و نور الشمس ينبعث منها